اللغة المنطقية ورهان نظرية الفعل التواصلي

Logical language and the bet of the theory of communicative action

الباحثة: فاطمة فواطمية[1]

جامعة عبد الحميد ابن باديس (الجزائر)-[fatma.fouatmia.etu@univ-mosta.dz]

المشرف: السايح حمادي[2]

جامعة عبد الحميد ابن باديس (الجزائر)-[sayehham@yahoo.fr]

تاريخ الاستلام: 2020/08/01 تاريخ القبول: 2021/05/30 تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص باللغة العربية:

إن الحديث عن اللغة هو حديث قديم لازم الإنسان منذ العصور القديمة ليس فقط لأنها الأداة الأولى والأخيرة للتواصل بين الناس وحسب، وإنما تحمل اللغة أهمية أخرى تتمثل في علاقتها بالعلوم سواء كانت اجتماعية أو إنسانية أو مضبوطة (دقيقة). والمنطق من العلوم التي لها علاقة باللغة إذ لعبت هذه الأخيرة دورا فعالا في تطور المنطق والانتقال به من لغة الألفاظ والكلمات إلى لغة الرموز والتي تعرف عادة باللغة المنطقية.

وعليه سنحاول في هذا المقال تقديم تحليل لمفهوم اللغة المنطقية من خلال علاقتها بالمنطق، وأيضا بنظرية الفعل التواصلي ضمن العلوم الاجتماعية والإنسانية، نظرا لما تحمله اللغة من أهمية في الفكر الفلسفي عبر العصور ببناء العديد من الفلسفات ووضع النظريات..

كلمات مفتاحية: اللغة؛ المنطق؛ اللغة المنطقية؛ سلبيات التقنية؛ نظرية الفعل التواصلي.

Abstract:

Speaking of language is an old talk that has haunted man since ancient times, not only because it is the first and last tool for communication between people, but also the language has another importance in its relation to the sciences, whether social and human sciences or

1- طالبة باحثة سنة ثانية دكتوراه، تخصص المنطق، قسم الفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مخبر الفلسفة والعلوم الإنسانية، مستغانم، البلد الجزائر، البريد الالكتروني: [fatma.fouatmia.etu@univ-mosta.dz].

2- أستاذ محاضر قسم أ، شعبةالفلسفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مخبر الأنساق، البنيات، النماذج والممارسات، جامعة وهران2 محمد بن أحمد، البلد الجزائر، البريد الالكتروني: [sayehham@yahoo.fr].

scientific sciences. Logic is a language-related science, as the latter has played an active role in the evolution of logic and the transition from the use of language to code and known as the logical language.

Accordingly, we will try through this article to provide an analysis of the concept of logical language through the relationship of language to logic, and its relation to the theory of communication verb as a logic in the social and human sciences, because of the importance of language in philosophical thought through the ages by building many philosophies and developing theories.

Keywords: Language; logical language; logic; technical cons; theory of communicative action.

مقدمة:

إن حاجة الإنسان إلى اللغة تقتضي إبراز أهميتها، إذ لا يمكن لأي فرد أن يتحدث أو يفكر بل وحتى يخترع بدون لغة، حيث لعبت هذه الأخيرة دورا كبيرا في التطور الذي شهدته العلوم وحتى الفكر الفلسفي، كما صاحبت التفكير المنطقي منذ القديم إلى يومنا هذا. ضف إلى ذلك حاجة المنطق لها (للغة) لبناء تفكير صحيح من خلال التشكيل السليم للقضايا وصياغة القوانين التي تقي الفكر من الزلل.

وعليه سنتطرق لإشكالية اللغة وعلاقتها بالمنطق من جهة وكوسيلة للتواصل من جهة أخرى، لنتساءل ونقول: ما مدى علاقة اللغة بالتفكير المنطقي؟ وما هي رهانات اللغة المنطقية في بناء نظرية الفعل التواصلي كمنطق اجتماعي؟.

إذا **افترضنا** أن للغة علاقة اتصال بجميع العلوم عموما والمنطق خصوصا، نظرا لما تتميز به من قدرة على التعبير ما بداخل الإنسان، فنظرية الفعل التواصلي كمنطق اجتماعي يهدف إلى استعادة حرية الإنسان وإنسانيته حيث ترتكز هذه الأخيرة على اللغة لتعزيز الحوار والنقاش المفتوح لتحقيق التواصل.

وتكمن **أهمية الموضوع** في بيان مكانة اللغة في تطوير العلوم، من جهة أولى، من جهة ثانية، تمكين الإنسان من إيصال فكره وإخراج ما بداخله.فالتفكير في حد ذاته لا يحصل إلا بوجود اللغة وإن تعددت. وعليه سنخوض في الحديث عن هذا الموضوع ضمن هذه الورقة للإجابة عن الإشكالية المذكورة أعلاه **بمنهج تحليلي**، نحاول فيه تفكيك علاقة اللغة بالمنطق، ثم علاقتها بالتواصل من خلال أفكار (يورغن هبرماس 1929).

للإشارة ليست هذه الدراسة الأولى للموضوع وإنما له **دراسات سابقة** منها كتاب لـ (نور الدين أفاية) بعنوان: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصر. وكتاب آخر لـ (زواوي بغورة)تحت عنوان:

الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة. ومن الدراسات أيضا الكثير من المقالات المنشورة ورسائل دكتوراه ومذكرات ماجستير.

2- العرض

شغلت اللغة حيزا كبيرا في فكر البشرية منذ القديم إلى يومنا هذا، حيث تجلت النقاشات اللغوية في عديد الفلسفات الغربية والعربية نظرا لما تحتويه من أهمية في العالم الخارجي للإنسان فيما يتعلق بالتواصل مع الآخر، ناهيك عن دورها الفعال في التطور العلمي. فما هو مفهوم اللغة وما هي كبرى النقاشات اللغوية؟.

أولا: مفهوم اللغة Language

تعد اللغة إرثا حضاريا عبر تاريخ البشرية ضمن العصور، لما تحمله من أهمية بوصفها الأداة التي كانت ولا تزال يعبر بها البشر عن أغراضهم ولاسيما أنها المجال أو الحيز الذي يحمل الفكر. وتشمل اللغة في تعريف جامع لها كل الإشارات، الرموز، الأصوات، الحركات...إلخ، وتنقسم إلى لغة عادية وأخرى رمزية إنها: «ما يعبر به كل قوم عن أغراضهم»[1].

فالفكر الذي يمثل الباطن الإنساني والجانب الداخلي الذي لا يمكن رؤيته إلا

من خلال "اللغة" فهي مرآة عاكسة للجانب الداخلي للبشرية قاطبة على اختلاف أجناسها وتعدد لغاتها، إن التعبير عن المشاعر والأفكار لا يكون إلا من خلال الكلمات العادية أو الرموز، فالتمثل الحسي للذهن يتمظهر من خلال اللغة، فهي «التمثل الحسي للمدرك الذهني في الخارج تمثلا ماديا مسموعا»[2].

إن ظاهرة الاهتمام باللغة ليست جديدة، وخير دليل على ذلك الخطاب السفسطائي الذي جعل اللغة وسيلة إقناع من خلال التلاعب بالألفاظ. كيف لا، وقد كان (سقراط) هو الآخر بمنهجه "التهكم والتوليد" الذي كان بمثابة القناص الذي يعي كيف يصوب نحو الهدف، إذ إتقانه لأساليب اللغة جعل الآخر يقتنع ويصدق كل ما يقوله.

1)طبيعة اللغة:

من بين المسائل التي أخذت حيزا كبيرا من اهتمام الفلاسفة على وجه الخصوص، حيث حاولوا الإجابة على السؤال التالي: "هل اللغة اعتباطية أم اصطلاحية؟.

التيار الأول: يؤكد بأن اللغة اعتباطية أي طبيعية تولد بالفطرة مع الإنسان حيث نقف على هذا الطرح ضمن "محاورة كراتيروس" لأفلاطون (Platon).

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، [د.ط]، 1982، ص286.

2- علي سامي النشار، المنطق الصوري حتى عصورنا الحاضرة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص 81.

التيار الثاني: جاء بطرح مناقض للطرح الأول،حيث يعتبر اللغة اصطلاحية، أي موضوعة من طرف الإنسان بالاتفاق، كما يذهب إلى ذلك أرسطو (Aristote) قدم اللغة على أنها موضوعة بمعنى وضعها الإنسان. نشير هنا إلى أن هذا الجدل لم يحسم، بل ظل قائما إلى غاية فترة العصور الوسطى. لتأتي الفترة الحديثة بطرح آخر لا يقل أهمية عن الطرح القديم إذ أثير الإشكال من جديد، لكن هذه المرة بطريقة أخرى، أي حول "علاقة اللغة بالفكر" ليفتح باب النقاش من خلال التساؤل التالي: هل اللغة قادرة على حمل الأفكار أم أنها عاجزة ؟ بصيغة أخرى، هل علاقة اللغة بالفكر هي علاقة اتصال أم انفصال؟، وهنا نعثر على بروز فلسفات للغة لكل منها طروحاته وأدلته.

أما في الفترة المعاصرة أصبحت اللغة إحدى موضوعات الفلسفة، نظرا لأهميتها في القضايا الفلسفية المعاصرة كفلسفة التواصل مثلا[1].

باختصار، كانت هذه الفقرة الأخيرة محاولة لتقديم أنطولوجيا اللغة بعرض لأهم التساؤلات التي أثارها الإنسان حول اللغة، وهذا لأهميتها في علاقة "الأنا بالآخر" في شتى المجالات الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية...الخ. ليس هذا وحسب، بل وللغة علاقة وطيدة بكل العلوم سواء كانت الإنسانية أم الاجتماعية وحتى العلمية، كما لها فضل كبير في تطور العديد من العلوم، هذا إن لم نقل كل العلوم تطورت بفضل تطور اللغة. وكأنموذج لهذه الوريقة سنتطرق لاحقا "المنطق و اللغة"...أي علاقة؟.

ثانيا: المنطق واللغة

تجمع المنطق (Logic)* واللغة علاقة اتصال منذ الإرهاصات الأولى قبل أرسطو إلى غاية بروز المنطق الحديث مرورا بمنطق الفلاسفة وصولا إلى المنطق المعاصر سواء المنطق الرياضي أو المنطق المتعدد القيم، فالتفكير المنطقي يستلزم وجود لغة للتواصل والتحاور سواء لإيصال معلومة أو لأخذ معلومة أخرى، فالإنسان يستعمل ذلك النسق من الإشارات والألفاظ والرموز والكلمات لإخراج المدرك الذهني بتوفر قواعد وقوانين للفكر وبالاستعمال المناسب للغة.

لقد صاحبت اللغة التفكير المنطقي قديما كتلك التي تجلت في الخطاب السفسطائي وحتى مع سقراط –كما ذكرنا آنفا-، "فالقضية المنطقية" التي هي عبارة عن جملة خبرية نعرف من خلالها خبر معين. إنها بمثابة "ترجمة" لواقع الإنسان، وذلك بتحويل كلام الناس إلى لغة منطقيةضمن نسق منطقي معين. وفي هذه النقطة تكمن علاقة المنطق باللغة فترتبط سلامة التفكير بسلامة التعبير اللغوي، ومنه

* وللإشارة لا نقصد بالمنطق فقط المنطق التقليدي والمنطق المعاصربل نقصد التفكير المنطقي وحتى منطق العلوم الاجتماعية والمنطق الذي أسس له الفلاسفة كالمنطق الترسدنتالي لإيمانويل كانط وإدموند هوسرل، وقبلهم المنطق الحديث كاستقراء فرنسيس بيكون. فعلاقة المنطق باللغة بصفة عامة أولا وبالمنطق وتطوره عبر العصور بصفة خاصة.

1- أنظر: زواوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص ص 9-21.

يقاس صدق أو كذب القضية، وعليه «إذا اتفق للمنطقي هذا النقل، اتفق له معه تحديد سلامة التعبير اللغوي بسلامة التعبير المنطقي وتحديد دلالته بدلالته»[1].

وبما أن للغة قواعد لابد من مراعاتها لتكوين جملة سليمة لغويا وتعبر عن فكرة ما،فتعرف هذه القواعد "بالنحو". وفي هذه النقطة يركز المنطقي على اللغة لتشكيل القضايا المنطقية بمراعاة قواعد الفكر، حيث يمكن التمييز بين صحيح الفكر من خطأه، فإذا كان «النحو يبحث في القواعد التي تنظم اللغة المعبرة عن الفكر، فالمنطق يبحث في قواعد الفكر المعبر عنها باللغة»[2].

- منطق الفلاسفة وطريقة التعبير:

نقول عن طريقة التعبير في المنطق التقليدي بأنها لغوية، يعني أن منطق الفلاسفة يستند أساسا في عرض قضاياه وبرهانها إلى ألفاظ اللغة العادية (الطبيعية)المعتادة المملوءة بالمعاني المتقاربة وأحيانا المتضادة التي تعيق الاستنتاج وتوقع في الزلل، ولم يستطع هذا المنطق "طوال تاريخه أن يصطنع لنفسه لغة علمية (رمزية)، لما لها من دقة بالغة في الدلالة، ولما لها أيضا من تجرد وعموم"[3].

- المنطق التقليدي بين الرفض والإصلاح

نظرا للاعتبارات السابقة وغيرها، نجد من ثار ضد هذا المنطق على غرار الفيلسوفين الفرنسيين ديكارت(1650-1596م)، وبوانكاريه(1912-1854)، حيث اعتبره الأول في شقه الخاص بالقياس ومعظم صوره الأخرى، "إنما تستخدم بالأحرى لكي تشرح للآخرين الأشياء التي يعلمونها، إنها كفن(Lull) تتكلم بدون حكم لأولئك الذين يجهلونها"[4]، إنها قواعد لا تسمح لنا بالاكتشاف.أما الثاني فيرى بأن القياس لا يمكن أن يعلمنا شيئا جوهريا جديدا.لكن هناك محاولات أخرى نادت بإصلاح المنطق عن طريق استخدام المنهج الرياضي،وذلك بجعل المنطق نسقا، مستخدما في ذلك لغة علمية عامة (الرياضيات) تصلح "في جميع العلوم والمعارف"[5].

لعل أول هذه المحاولات وأهمها تلك التي كانت على يد الفيلسوف الألماني (ليبنيز1646-1716)في القرن السابع عشر،حيث يعتبر من خلال ملاحظاته حول المنطق الصوري مبشرا بالمنطق الرمزي بل يعتبر مؤسسه بحسب تعبير(برتراند رسل)، لتتلوها محاولات إصلاحية أخرى استغرقت قرابة القرنين ليتأسس علما جديدا عُرف فيما بعد بالمنطق الرمزي أو الرياضي.

- الصلة بين المنطق والرياضيات:

1- طه عبد الرحمن ، المنطق والنحو الصوري، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983، ص 10.

2- محمد مهران، علم المنطق، دار المعارف، مصر، [د.ط]، [د.س]، ص32.

3- ثابت الفند، أصول المنطق الرياضي، اللوجستيقا، ط1، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1972، ص34.

4- توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ط6، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1976، ص412.

5- عبد المعطي محمد، مناهج البحث في العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية، بيروت، لبنان، مكتبة كريدي إخوان، 1979، ص20.

يتبين مما سبق أنه "ليس ثمة فاصل دقيق بين المنطق القديم والمنطق الجديد،وإنما يمثل كلاهما حركة أو نزعة نحو التجريد الفكري الخالص، نحو بيان الصورة الفكرية عارية من كل مادة وخالية من كل موضوع ذي قوام خارج الذهن"[1].

وإذا كان الأمر على النحو السابق، فلا مناص إذن من أن يرتمي المنطق في أحضان العلم الذي يمثل الاتجاه نحو التجريد المطلق إلى أعلى درجة، ألا وهو العلم الرياضي. فعلى المنطق إذن أن يستعير من الرياضيات مناهجها وأساليب العمل فيها وأن يطبقها على موضوعه الخاص، إن كان له بعد موضوع خاص. فكان المنطق إذن تابعا للرياضيات. لكن الحال لم تستمر على هذا النحو طويلا، إذ شعر المنطق الجديد بأنه هو الأصل في التفكير الرياضي حتى إنه يستطيع، بواسطة قوانينه الخاصة، أن يستخرج نظرية الرياضيات من حيث طبيعة عملياتها ومناهجها من الناحية الفكرية. وهكذا شعر المنطق بأنه في مرتبة أعلى من الرياضة، أو على الأقل بأن الرياضة والمنطق يسيران معا ويرتبطان فيما بينهما وبين بعض أشد الارتباط. فكان ثمة حركة متبادلة بين المنطق والرياضة: فالمنطق من جانبه يحاول أن(**يمنطق الرياضة**) والرياضة من جانبها تحاول أن(**تُروِّض المنطق**)[2].

ثالثا: التواصل واللغة

قبل أن نتحدث عن التواصل كمنطق جديد له قواعد معينة والذي يعد وسيلة لاستعادة إنسانية الإنسان، فقبل هذا لا بد من الإشارة أولا إلى الأسباب التي حتمت على العديد من الفلاسفة محاولة الإجابة على بعض التساؤلات حول هذا التطور(التطور العلمي)وكذا تطبيقاته (التقنية)على الإنسانية كمبدأ إنساني؟.

في وقت ليس ببعيد كانت هناك فكرة سائدة بين الناس مفادها أن التقنية هي وحدها لها الفضل في تخليص الإنسانية من جبروت وسيطرة الطبيعة، إذ ما حققه الإنسان في مجال التطور العلمي وسيطرته على العديد من الظواهر سببه يرجع إلى ما توصل إليه من اكتشافات واختراعات جعلت منه – أي الإنسان- يعتقد بأنه بات يملك الطبيعة بل والعالم بأسره. لكن سرعان ما تلاشى هذا الاعتقاد، حيث بات عالم التقنية الذي أبهر الإنسان باعتباره عالم الحرية،أصبح بمثابة استعمار آخر للإنسانية لكنه ليس بالمفهوم الذي ألفناه – من قبل كنا نسمع عن استعمار دولة لدولة ما في شتى المجالات- أما اليوم أصبنا نسمع على أن الإنسان بات مستعمرا من طرف ما صنعت يداه.

1) التقنية وسلبياتها:

إذا كانت التقنية في زمن ما وسيلة لتحقيق الرفاه الإنساني، أضحت في الآونة الأخيرة تشكل خطرا على البشرية، لقد جعلت من الإنسان مجرد آلة حيث سلبت منه إنسانيته بسبب هيمنتها عليه. ولعل

1- عبد الرحمن بدوي، المنطق الصوري والرياضي، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1963، ص252.

2- المرجع نفسه، ص152.

مارتن هيدغر (Martin Heidegger) من أبرز فلاسفة القرن العشرين الذين قدموا قراءة جديدة لمفهوم التقنية، إذ يعترف ويميز بين التقنية في مفهومها الكلاسيكي ومفهومها الحديث، حيث يرى أن الأولى تأخذ بعدا انطولوجيا على أساس أنها سعت لتحقيق راحة الإنسان ونسبة أكبر من الحرية له. أما الثانية فلا، لسبب سبق ذكره آنفا. «إن التقنية الحديثة مختلفة عن سابقتها، إلى درجة أنها لا يمكن أن تقارن معها، لأنها مؤسسة على العلم الحديث الدقيق للطبيعة»[1].

وبهذه المقارنة يوضح(هيدغر)المعنى الحقيقي للتقنية الذي هو غير المعنى الظاهري أو الميتافيزيقي كما يسميه، إذ يرى أن التقنية ليست وسيلة الإنسان المعاصر. بالمختصر، التقنية في نظره ليست تلك الوسيلة التي لها ايجابيات تطبيقية-عملية في حياة البشرية كما كان سائد سابقا، وإنما ما تخفيه في الحقيقة، هو ما مهد إلى طرح العديد من التساؤلات كسؤال الوجود، وسؤال الإنسانية ...الخ[2].

2) التقنية: من غياب التواصل إلى فلسفة ما بعد الحداثة

لقد كان لتداعيات التقنية طرح عديد الإشكاليات التي باتت موضوع الفلسفة المعاصرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر غياب "التواصل" الذي أدى إلى تفشي المشاكل الاجتماعية والأمراض النفسية، ما حتم على عديد الفلاسفة ربط الفلسفة بالعلم، بدل الاعتماد فقط على العلوم الدقيقة وتطبيقاتها. لذلك بات التفكير في إيجاد منطق جديد وبلغة منطقية تتوافق ومتطلبات المجتمع مطلبا ضروريا لاستعادة الإنسانية.

وهكذا جاءت فلسفة "ما بعد الحداثة" التي تهدف إلى إعادة الإنسان الطبيعي أو إلى طبيعته وتحرره من استعمار التقنية، فالإنسان الذي وجد نفسه خاضعا للتطور فيشتى المجالات متناسيا وجوده ككائن إنساني. بحيث بدأ التأسيس لمنطق اجتماعي بغية تجاوز بعض المشاكل التي أفرزتها اللغة الرمزية.

رابعا: مدرسة فرنكفورت: من نقد الأعمال المنطقية إلى التركيزعلى اللغة

توجت الرؤية النقدية التي قدمتها "مدرسة فرانكفورت" للأعمال المنطقية السابقة وإظهار سلبيات العلم بالتركيز على "اللغة" لما تحمله من أهمية كما ذكرنا آنفا. نعثر على ذلك في أعمال الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس (JurgenHebermas) الذي شرع في البداية بنقد الفلسفات الوضعية التي سعت جاهدة إلى ربط الفلسفة بالعلم، حيث يرى أنه من المستحيل ربط العلوم الاجتماعية بالعلم إلا في حدود، مثل تقديم نسبة عن ظاهرة ما[3]، هذا من جهة. كما يؤكد بإلحاح على عدم إمكانية أن تكون الفلسفة علما. ومنه عمل على تحرير الإنسانية من قيود التقنية بالتأسيس لمشروعه الفلسفي.

1- مارتن هيدغر، التقنية-الحقيقة-الوجود، تر: محمد سبيلا وعبد الهادي فاتح، المركز الثقافي العربي، بيروت، [د.ط]، [د.س]، ص 55.

2- أنظر: كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010، ص-ص 53-59.

3- انظر: يورغنهابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، تر: حسن صقر، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2003، ص 95.

فالمنطق الذي يقدمه هبرماس للإنسان لاسترجاع إنسانيته هو نظرية "الفعل التواصلي". فالتواصل (Continuité) كمفهوم ضد "اللاتواصل(Discontinuité)" .إذ يعني الأول الاستمرارية في حين يحمل المعنى الثاني عدم الاستمرار أو التوقف[1]. ويتحقق الفعل التواصلي بوجود لغة كوسيلة أساسية تمثل همزة وصل بين القائمين في العملية التواصلية وفي إطار جدلي بناء بين الأفراد يتم التحاور والتفاهم بين المشاركين للاتفاق أو الاختلاف بين مزاعم الصدق حول موضوع ما. «فمفهوم الفعل التواصلي يفترض اللغة بوصفها الوسط الذي يمكن أن يحصل حوله نوع التفاهم ومن خلاله يستطيع المشاركون في التفاعل أن يثيروا مزاعم الصدق التي يمكن الاتفاق عليها أو الاختلاف حولها»[2].

فنظرية الفعل التواصلي كمنطق للعلوم الاجتماعية له قواعد يتم إتباعها لتحقيق التواصل، إذ أن اللغة شرط أساسي لبناء النظرية التواصلية، ثم يأتي إعمال العقل بقراءة الأفكار قراءة نقدية بناءة لتحقيق الفعل التواصلي وذلك «بالتفكير في اللغة وفي قدرة العقل البرهانية لبناء نظرية عقلانية تواصلية تتخذ من النقد والمحاكمة قاعدتها المركزية»[3]. وعليه يتطلب منطق العلوم الاجتماعية الذي قدمه هابرماس اللغة، لكن غير اللغة العلمية التي كان ينادي بها رواد الوضعية المنطقية.

1)الحس المشترك والفعل التواصلي:

يستدعي التواصل لغة منطقية خاصة تمثل "الحس المشترك" الذي يعد قاسم بين الإنسانية قاطبة. والمقصود بذلك اللغة التي تحمل وتعكس "العالم المعيش"، هذا العالم الذي يمثل نموذجا للتفاهم، أي التفاهم بين الأنا (Ego) والآخر(Alter) حيث يتحقق هذا الاتفاق بالتواصل والحوار في إطار ديمقراطي حر ندعوه "بلغة الحوار". فنموذج التفاهم كنتيجة منطقية مقدمتها اللغة والتفكير البرهاني «وما هو أساسي في نموذج التفاهم هو الاتجاه الأدائي الذي يتبناه هؤلاء الذين يشتركون في التعامل (...) بالاتفاق فيما بينهم على أمر ما موجود في العالم. أنا (Ego) بقياس كلام الآخر (Alter) الذي يتخذ موقفا إزاء هذا العمل الكلامي»[4].

وهكذا يؤكد هابرماس بإلحاح على اللغة وبالخصوص تلك "اللغة العالمية" التي نجدها مشتركة بين الجميع، وعليه يعطي قيمة للغة اليومية، لأنها تشكل علاقة حوارية بين الناس كما يقول[5]، هذه العلاقة التي تبرز مدى وعي (conscioune) الأفراد والتي تمثل أساس التفاهم بين المشاركين في العملية التواصلية.

1- أنظر: عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005، ص17.

2- عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين وبحوث فلسفية اخرى، الجلال للطباعة والنشر، الاسكندرية، [د.ط]، [د.س]، ص 105.

3- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، إفرقيا الشرق، المغرب، ط1، 1998، ص73.

4- يورغنهابرماس، القول الفلسفي للحداثة، تر: فاطمة الجيوتي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص 455.

5- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، المرجع السابق، ص 73.

إذن، الفعل التواصلي يعد متنفسا للبشرية بحسب الألماني هبرماس، حيث يقدم هذا المنطق أي "نظرية الفعل التواصلي" التي تخص علم الاجتماع بكل فروعه، بالمختصر، يأتي هذا المنطق في سياق ضاعت فيه إنسانية الإنسان جراء الإفرازات التي خلفتها التقنية. يضاف إلى ذلك، تبني اللغة الرمزية من خلال الربط بين الفلسفة والعلم، دون مراعاة الاختلافات و الفروق الفردية، ما تسبب في ظهور قضايا فلسفية راهنة حتمت على الفلاسفة التفكير فيها بمنطق جديد يعيد للإنسان إنسانيته وكذا إعادة دراسة اللغة من الداخل بإبراز قيمتها في الفكر.

3- خاتمة:

يمكن القول مما قدمناه سابقا،أن الانتقال من لغة الألفاظ إلى لغة الرموز بعد فترة طويلة وبالضبط إلى غاية منتصف القرن التاسع عشر، كانت له انعكاسات إيجابية على تطور العلوم ليس فقط العلوم الدقيقة إنما شمل مختلف العلوم، لكن بنسب متفاوتة. إلا أن هذا الاستعمال، إذا كانت له مساهمته الكبرى في تطور العلوم وتقدمها، سيما تطبيقاتها، قد انعكس سلبا على الإنسان بفقد حريته، ظهرت نزعات ونظريات جديدة في خضم ذلك، وبالضبط في حقل العلوم الاجتماعية، حاولت التأسيس لمنطق جديد عُرف بـ : "نظرية الفعل التواصلي"التي تتحقق فيه إنسانية الإنسان من خلال تجاوز لغة الرموز والاعتماد على لغة تتيح للفرد التواصل والتحاور مع الآخر على ما يذهب إليه الفيلسوف الألماني (يورغن هابرماس).

قائمة المصادروالمراجع:

1) إ.م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، تر:عزت قرني، عالم المعرفة، الكويت، 1978.
2) الاخضر شريط، المنطق الرياضي خلاصة أثر المنطق المعاصر، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.
3) توفيق الطويل، أسس الفلسفة، ط6، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1976، ص412.
4) ثابت الفندي، أصول المنطق الرياضي، اللوجستيقا، ط1، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1972، ص34.
5) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، [د.ط]، 1982.
6) زواوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.
7) طه عبد الرحمن ، المنطق والنحو الصوري، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983.
8) عبد الرحمن بدوي، المنطق الصوري والرياضي، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1963، ص252.
9) عبد المعطي محمد، (1979) مناهج البحث في العلوم الرياضية والطبيعية والتاريخية، بيروت، لبنان، مكتبة كريدي إخوان، 1979، ص20.
10) عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين وبحوث فلسفية أخرى، الجلال للطباعة والنشر، الاسكندرية، [د.ط]، [د.س].
11) علي سامي النشار، المنطق الصوري حتى عصورنا الحاضرة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000.
12) عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005.

13) كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010.

14) مارتن هيدغر، التقنية-الحقيقة-الوجود، تر: محمد سبيلا وعبد الهادي فاتح، المركز الثقافي العربي، بيروت، [د.ط]، [د.س].

15) محمد مهران، علم المنطق، دار المعارف، مصر، [د.ط]، [د.س].

16) محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة نموذج هابرماس، إفرقيا الشرق، المغرب، ط1، 1998.

17) يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، تر: حسن صقر، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2003.

18) يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، تر: فاطمة الجيوتي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995.